المبحث الثالث

فوائد وحدة النسق القرآني

إنّ إدراك حقيقة وحدة النسق القرآني والكشف عن المحور الذي تدور عليه جميع مواضيع السورة والوقوف على غرضها وهدفها، وإبراز الروابط والعلاقات التي تربط بين أجزائها بدءاً من فاتحتها وآخراً بختامها يعد من أهم العوامل المساعدة على تفهم معاني آياتها ومقصودها واستجلاء الدلالات المكنونة في طياتها[1].

فالصورة الكاملة لحقيقة النسق القرآني في السورة هو إثارة جميع منافذ الوعي سواء أكانت الصورة التعبيرية من لفظة إلى تركيب وإلى آية وثم نص بوجه عام، أو المضمون والمقصود بوجه خاص، مجموع في النسق القرآني وفقاً لما يقتضيه عرض النص وسياقه، على تفاوت في غلبة منفذ أو مشاركة أكثر من منفذ في عملية الاستيعاب والتأثير، وأهم هذه المنافذ: الحواس كـ(السمع والبصر)، والعقل، والخيال والوجدان، فالسمع والبصر هي منافذ التلقي، وهي وسائل التعرف على العالم الخارجي، والعقل يعمل على إدراك العلاقات وتقريرها، والفكر يستفيد من هذه العلاقات فيوظفها في بناء تصور ذهني، ويأتي دور الخيال الذي يحقن هذا التصور بالحركة والحيوية والفعالية لتصبح الصورة ماثلة أمام الوجدان الذي يدفع بالمتلقي إلى اتخاذ موقف ما، ويربط ما تقدم بالواقع ليسقط الأحكام عليه[2].

وأول من تنبّه إلى حقيقة النسق القرآني هو الإمام الشاطبي، حيث أدرك

---

(١) ينظر: وحدة النسق في السورة القرآنية: ١٨٣.

(٢) ينظر: النسق القرآني، دراسة أسلوبية: ٥٩٩؛ وينظر: التصوير الفني: ٢٢٨.

أنّ مقاصد السور هو الغرض من وراء التعابير والأساليب المنطوية في آيات السورة عند استجلاء معاني الآيات من ألفاظها وتراكيبها، فقرر أنه لا محيص للمتفهم عن استيفاء جميع أجزاء السورة بالنظر باعتبارها كلاماً واحداً من جهة النظم[1].

واستشعر البقاعي فائدة النظر الشمولي إلى السورة القرآنية داخلها وما يحيط بها، ومعرفة مقصودها وتوصل إلى ثمرة مقاصد السور وغايته[2]. فتفسير الآيات بناءً على معرفة موقعها من مقصود السورة العام يكون أدق وأعمق من تفسيرها الخاص دون ربطها بالمقصود العام للسورة، فلا تبدو موضوعات السورة اشتقاقاً مفرقة وأجزاء متباعدة، وإنما مرتبطة بالنسق العام للسورة ملتحمة المقاصد مترابطة المعاني[3].

وخلاصة فوائد النسق القرآني نوجزها بالنقاط التالية:

١- امتزاج الوجه الديني بالبناء الفني، ويبدو ذلك في أوائل القصص الواردة في السور القرآنية، وهذا يكون في التمهيد للقصة أو في أوائلها، كما في قوله تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ

(١) ينظر: الموافقات: ٣/٣١١.

(٢) ينظر: مصاعد النظر: ١/١٥٥.

(٣) ينظر: وحدة النسق القرآني: ١٨٣.

(٤) سورة يوسف: ٣.

(٥) سورة يس: ١٣.

فِرْعَوْنَ ...﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾[2]، وفي نهاية القصة غالباً تعقيباً دينيّاً يناسب العبرة فيها والمقصود من ذكر القصة والهدف والغاية منه[3]، فامتزجت الصورة في الوجه الديني والوجه الفني.

٢- امتزاج الواقع المشهود بغرض السورة، كما ورد من مشاهد ولوحات واقعية عند الحديث عن صور العرض والعرض شملت من مشاهد الكون كلها كالإنسان والحيوان والنبات والجماد، واختلطت في بعضها مشاهد السماء والأرض، والأفلاك والأجرام والظل والشمس والقمر وغيرها، فضلاً عن ذكر أحداث ووقائع ونماذج من الماضي والحاضر، وهي ما وقع من أحداث بين الأنبياء وأقوامهم، إذ ورد في صورة قرآنية تستهدف العبرة، والوسيلة للتأثير على البيئة الجاهلية[4]، ومن ذلك قصة ابني آدم، قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[5]، وطوفان نوح، قال تعالى: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾[6].

---

(١) سورة آل عمران: ١١.

(٢) سورة القلم: ١٧.

(٣) ينظر: النسق القرآني، دراسة أسلوبية: ٥٨٧.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٥٠٧؛ وينظر: نظرات في قصص القرآن: ١٣٨.

(٥) المائدة: ٢٧.

(٦) سورة هود: ٤٢-٤٣.

فالمفهوم من هذه القصص التي يبيّنها النسق القرآني هي طاعة الله وتقواه أساس النجاة، وكيفية المحاورة بين الحق والباطل، والإصرار على الحق، وغيرها من العبر والعِظات والإرشاد، فتلاءم في النسق القرآني المحكم والقصة بأسلوب رائع وغاية التأثير لدى المتلقي.

٣- الصورة الحرّة في نظام التعبير القرآني، وتأتي على هيئة وصف، أو مشهد، أو صورة حسية يدركها الذهن والخيال والمشاعر، والتي تساهم في جلاء التجربة واستشعارها والكشف عن أبعادها، وهي الصورة الحقيقية للنسق القرآني والتي تتنقل من مشهد إلى آخر ومن وصف إلى آخر داخل السورة الواحدة، قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1]، فهنا استشعار حقيقي للخوف يكشفه التوكل على الله تعالى والإخلاص وعدم اليأس من شدة الخطر، وقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾[2]. رسمت هذه الآية صورة حسيّة يدركها الذهن ورسم الخيال ويستشعرها القلب، ونجدها في (خائفاً يترقب) وهي صورة نفسية انفعالية وذهنية، وفي (زحزح عن... وأدخل الجنة) صورة حركية استشعرها الذهن وأثّرت في قوى وإحساس الجسد صوّرها الخيال ليحس بها المتلقّي نفسه.

وقد تحمل الصورة الحقيقية في جزء منها شيئاً من المجاز لكنه ليس هو

---

(١) سورة القصص: ٢١.

(٢) سورة آل عمران: ١٨٥.

الصورة بأبعادها وفضائها ومبتغاها؛ لأنّ السورة القرآنية تستوعب علاقات كثيرة وروابط متماسكة وتعطي على مدى السياق معنى أقرب إلى الحقيقة، وتعطي دلالات أخرى، والحكم الأخير عليها لا يقوم مجرد تفحّص مشهد جزئي خاص بل يتعدّاه إلى مشهد عام ينظّمه شعور نفسي متكامل[1]، وهذا يستدرجنا إلى فائدة علم المناسبات الذي أشار إليه العلماء والمرتبط بنسق السورة القرآنية، وهو باب عظيم يظهر لنا جملة من دقائق ولطائف القرآن الكريم ومظاهر الإعجاز، واستلهام روحها الخاصة في تفسير أجزائها وربطها بمناسبات لها علاقة بالغرض العام الذي سيقت من أجله الآيات وتنقلها من مشهد إلى آخر ومن وصف لغيره، وفيها ترويض وتربية النفس البشرية واستحضار مشاعرها.

وإنّ أكثر دقائق الأحكام وفهمها ولطائف القرآن الكريم وإشاراته وإيماءاته مودعة في الترتيبات والعلاقات والروابط[2].

فالسورة القرآنية تُعد بمثابة حلقات مترابطة داخل إطار شامل وحلقة أكثر منها، وقد تكون الحلقات وهي الآيات متعلقة مع بعضها، فالآية مرتبطة مع ما قبلها أو مع ما بعدها، أو قد تكون متصلة بالحلقة الكبرى التي تمثّل مقصود السورة الرئيس[3].

٤- الاستبصار بمقصود السورة القرآنية استجلاءً لأسرار تكرار القصص واختلاف الآيات المتشابهة في التعبير، فإنّ كل سورة أعيدت فيها قصة

---

(١) ينظر: الصورة البيانية بين البلاغة والنقد: ٣٧.

(٢) ينظر: الأساس في التفسير: ١/٤٤٧، ٤٤٨.

(٣) ينظر: قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله ﷻ: ٢٨.

فلمعنى غير الأول الذي سيقت إليه في السورة السابقة، فتختلف ألفاظ وعبارات القصة بحسب الأغراض، وتغيّر النظوم بالتأخير والتقديم والإيجاز والتطويل والحذف والذكر، مع إنها لا تخالف شيئاً من ذلك في أصل المعنى الذي تكوّنت به القصة، لأنّ القصة القرآنية إنما تساق لتفيد عبرة من العبر، أو حكمة ما ودرس جديد، ودلالات كثيرة[1]، فاستثمر النسق القرآني العلاقات التعبيرية للقصص المكررة في السور القرآنية من حيث الاختيار والتوطئة فتمكن من تحقيق مقولة: (لكل مقام مقال) في المستوى الذي يجعله نموذجاً متميزاً من غيره من النصوص الأدبية، فيكون غني التفاعلات والعلاقات والمناسبات والدلالات، وشامل لنواحي الحياة وكل ما يحتاج إليه الإنسان[2]، ومثال تكرار الآيات بما يناسب مقصود السورة ذكر الله تعالى قصة زكريا ومريم (عليهما السلام) في سورة آل عمران وسورة مريم وفي كل سورة مقصدها من القصة مع مراعاة الإيجاز والإطالة وأسلوب التعبير والتعريض بين الآيات، ففي ذكر زكريا عليه السلام في سورة عمران قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾[3]، وفي سورة مريم قال تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾[4]، وقال تعالى في آل عمران في قصة

(١) ينظر: الانتصار للقرآن: ٨٠٣/٢؛ ينظر: نظم الدرر: ١٤/١؛ وينظر: وحدة النسق القرآني: ١٩٠.

(٢) ينظر: خصائص التعبير القرآني: ٣٣٣/١؛ وينظر: النسق القرآني: ٣٨٥.

(٣) سورة آل عمران: ٤٠.

(٤) سورة مريم: ٩.

مريم عليها السلام: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ﴾[1]، وفي مريم قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ﴾[2]، فلأجل اختلاف مقاصد السور تغيّرت نظم القصص وألفاظها وأساليبها بحسب المقصد، فمقصود سورة آل عمران التوحيد وابتدأت السورة بالتوحيد، وختمت بما بنى عليه من الصبر وما فيه من عظمة التقوى، وكرّر الاسم الأعظم الدال على الذات الإلهية الجامع لجميع الصفات، أما مقصود سورة مريم شمول الرحمة[3].

٥- مراعاة نسق السورة وطابعها الخاص على الأسرار البيانية المنطوية تحت الفروق اللغوية والتعبيرية البلاغية في السورة القرآنية، فنجد المعنى الواحد يرد في أكثر من سورة، ولكن بتعبير آخر يلائم سياقها، ويناسب مقصودها، ويناسق غرضها، وجوّها الخاص، وهذه التحوّلات المختلفة التي تطرأ على السياق فتأخذ المفردة خلالها دلالات متعددة لم تخرجها عن نظام اللغة ما يحتمله هذا النظام من تحوّل وتغيير، وذلك لأنَّ الكلمات ومفردات التراكيب تتجه برمّتها لخدمة مقصود السورة القرآنية، وتتأثر في صياغتها وسبكها بروحها[4]. ومثال ذلك قوله تعالى:

---

(١) سورة آل عمران: ٤٥.

(٢) سورة مريم: ١٩-٢١.

(٣) ينظر: مصاعد النظر: ١/١٥٢، ١٥٣.

(٤) ينظر: المتشابه اللفظي في القرآن ومسالك توجيهه عند أبي جعفر بن الزبير الغرناطي: ١٠٢، ١١٠.

﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾[2]، فهذا السر البياني في التحوّل في التعبير والفروق اللغوية بين الآيتين يتعيّن بمقصود السورة، إذ يعزوا التعبير بإبداء الخير في آية سورة النساء إلى مناسبة الطابع العام الذي يغلب عليها وهو طرق الخير وعمل البر، كإصلاح ذات البين والندب إلى العفو والتجاوز عن السيئات، أما في الآية الثانية فقد ذكر تعالى في السورة الطلاق، وكتمان القول، وتقوى الله، وأمر الحجاب، والتبنّي، واللعان، والخلع[3]، فناسب تعميم لفظة ﴿تُبْدُواْ﴾ بلفظة ﴿شَيْـًٔا﴾ بقوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا﴾. ومثاله أيضاً قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾[5]، إنّ في الآية الأولى تفويض الأمر والفعل كله لله، وقد ورد في قصة زكريا عليه السلام، ففيه تفويض الأفعال وقدرة الله على كل شيء، أما الآية الثانية جاءت في قصة مريم لنفس السورة، وفيها خلق عيسى عليه السلام وخلقه من الطين بهيئة الطير، وإحياء الموتى وهذا كله بإذن الله تعالى وقدرته على الخلق. فلفظة ﴿يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ يشمل الخلق وغيره، وفي الآية الثانية تركز الحديث على خلق عيسى عليه السلام ومعجزاته.

---

(١) سورة النساء: ١٤٩.

(٢) سورة الأحزاب: ٥٤.

(٣) ينظر: ملاك التأويل: ١/٣٦١، ٣٦٣.

(٤) سورة آل عمران: ٤٠.

(٥) آل عمران: ٤٧.

٦- تفيد وحدة النسق القرآني الأداء بتنوّع أساليبه وظواهره، لتعطيه جمالية عالية بعيدة عن التكلّف والملل؛ لأن التفنّن في ضروب الفصاحة أعلى من الاستمرار على ضرب واحد، لهذا أوردت بعض آي القرآن متماثلة المقاطع وبعضها غير متماثل[١]، لهذا ظهرت فعاليات النظم وعناصره لإنتاج الدلالة المقصودة من التعبير والأسلوب؛ إذ ظهرت عناية النص القرآني بتنوّع الأساليب وظواهر التعبير كالحذف والذكر والالتفات والتضمين والتكرار، وغيرها من الظواهر الأسلوبية، وأساليب التعبير متنوعة تشمل الشرط، والقسم، والاستفهام، والاستثناء، والمدح والذم والتعجب والنداء وغيرها، والقرآن الكريم قد أكثر من أساليب التعبير أشار إلى بعضها علماء البلاغة والأدب[٢]، ولا تزال أساليب أخرى تنتظر جهوداً جديدة تكتشفها من خلال ما يستجد من وسائل أسلوبية في دراسة النص الأدبي لتجد تطبيقها في النص القرآني، وكتاب (التعبير القرآني) للدكتور فاضل السامرائي أقرب مثال لذلك، والدليل القرآني لتعدد أساليبه قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَـٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَـٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[٣]. ومن أمثلة ذلك، أسلوب الشرط والأصل فيه أن يقع الشيء لوقوع غيره فيتوقف الثاني على الأول، قال تعالى: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ

(١) ينظر: منهاج البلغاء: ٣٨٩.

(٢) ينظر: دراسات في أساليب القرآن: ٦٢؛ وينظر: التحرير والتنوير: ١٠٧/١؛ وينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ١٤؛ النسق القرآني، دراسة أسلوبية: ٣٨٦.

(٣) سورة لقمان: ٢٧.

فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[2]، وقد يخرج الشرط عن هذه العلاقة والأصل، فيكون الشرط والجزاء متقارنين في زمان، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[3]. ومثال أسلوب الاستفهام، الذي ينحو في فواتح بعض السور منحى التشويق لمعرفة المقصود، كما في قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴾[4]، فالسامع يتشوق لمعرفة من هو هذا المكذب، فإذا رآه يدرك أنه يستحق العذاب، وهذا التساؤل يأتي للتحذير منه أو لتجنّبه[5].

ويكشف الاستعمال القرآني عن قوة دلالة (هل) على الاستفهام من (الهمزة)، ففي قوله تعالى: ﴿أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾، وقوله تعالى: ﴿أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[6]، وقوله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ ﴾[7]، استفهم

---

(١) سورة البقرة: ١٩٦.

(٢) سورة البقرة: ٢٨٠.

(٣) سورة البقرة: ١٤٩.

(٤) سورة الماعون: ١.

(٥) ينظر: النسق القرآني، دراسة أسلوبية: ٤٠٦.

(٦) سورة الحج: ٧٢.

(٧) سورة المائدة: ٦٠.

القرآن بهل والهمزة مع الفعل (نبأ) والسياق يبيّن أنّ هل أقوى وآكد في الاستفهام من الهمزة، فالسياق الثاني فيه قوة وتبكيت لا نجدها في السياق الأول[1].

ومثال أسلوب النداء بـــ(يا) الذي ينادي بها البعيد والقريب، نحو قوله تعالى: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾[3] كما ينادي به من غفل وسهى وإن قرب، تنزيلاً له منزلة من بعد، قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾[4]، والقرآن الكريم لم يستخدم لفظة (الله) منادى وإنما استغنى بكلمة (اللهم)؛ لأنّ التعظيم فيها واضح أكثر من (يا الله)، ومنها قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ﴾[5]، وغيرها[6].

وقد يستعمل النداء لأغراض أخرى[7]، كالتعجب، نحو قوله تعالى: ﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ﴾[8]، والتحسّر، قال تعالى: ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾[9].

وهكذا في باقي أساليب التعبير، وسنعرض أساليب التقديم والتأخير،

---

(١) ينظر: معاني النحو: ٤/٦٢٢.

(٢) سورة البقرة: ٣٣.

(٣) سورة يوسف: ١١.

(٤) سورة الأعراف: ٢٧.

(٥) سورة آل عمران: ٢٦.

(٦) ينظر: من بلاغة القرآن: ١٦٩.

(٧) ينظر: معترك الأقران: ١/٣٤٠.

(٨) سورة يس: ٣٠.

(٩) سورة النبأ: ٤.

والحذف والذكر وغيرهما لاحقاً، وبيان فائدتها في موضعها.

٧- رعاية العامل النفسي في الدلالة والإيقاع، إنّ رعاية النسق النفسي للعامل الوجداني والنفسي يأخذ حيزاً كبيراً في بنية النص والسياق القرآني، فإنّه يرسم منحنيات مختلفة في السورة كلها؛ لأنّ من أهداف هذا النسق التعامل مع النفس الإنسانية من منطلق الإثارة العاطفية وتحفيز الوجدان لإعمال الذهن وتحريض الفكر من أجل اتخاذ موقف وتحقيق سلوك حسن[١].

وأنّ هذه الصورة الأدبية في القرآن الكريم تحتل في النسق القرآني مساحة كبيرة وواسعة وأكثر عمقاً وأثراً في النفس البشرية، بحيث تشكل أسلوباً مميزاً ومفضلاً في التعبير القرآني عن المضمون بواسطة الصورة الفنية والصوتية والإيقاعية، وتعد نمطاً غالباً في النص القرآني، يحول التعبير في داخله من التقرير إلى التصوير لإثارة الأحاسيس والمشاعر الإنسانية لدى السامع والقارئ للقرآن الكريم، وهو أسلوب تعبيري ولد في رحم نسق النظم اللغوي، وهذا الأسلوب تفرد عن غيره بتخصصه في صناعة الصورة الفنية التعبيرية الموحية وهي تتكئ على جناحي الخيال والوجدان بخاصة، وتسهم في تشكيلها عناصر ذهنية وعقلية وحسية وشعورية ولغوية، بحسب المواقف والدواعي والمناسبات، وهذه الصورة الأدبية تحمل شحنة تأثيرية ترد في ثنايا السورة، وهذه الآثار الوجدانية صريحة وواضحة أحياناً أو لامحة خفية موحية أحياناً أخرى[٢].

ومثال هذا، قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ٩ إِذۡ جَآءُوكُم

(١) ينظر: النسق القرآني: ٣٢٣، ٧٣٣.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٤٨٣، ٤٨٤، ٧١٥.

مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾[1]، وهنا يكاد القارئ والمرتّل للقرآن الكريم أو السامع يحس بالإثارة النفسية ونبض المشاعر والوجدان في كلّ كلمة سواء بالصيغة الموحية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾، أو الصريحة ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴾، ثمّ عقبت عليه بالنتيجة التي تنتهي بها آيات النعم وكشف المكروه، وإبراز قدرة المنعم والتفاعل مع هذه المشاعر التي وصفها النص القرآني محل رعايته ونظره[2].

(١) الأحزاب: ٩، ١٠، ١١.

(٢) ينظر: النسق القرآني: ٣٢٣.